الإسلام دين سلام وليس دين إرهاب/ روجيه غارودي نموذج

ط/د. حنان بوزينة جامعة عنابة
أ.د. رابـــح مراجي جامعة قالمة

ملخص

سيكون هذا المقال رسالة من روجيه غارودي إلى العالم برمته يوضح فيها أن الدين الإسلامي ليس كما يقال عنه أنه دين إرهاب وسفك دماء، بل على العكس هو دين سلام وخير للبشرية، كما أنه دين المستقبل، وأن ما يحدث اليوم من تفجيرات واغتيالات لا علاقة لها أبدا بالإسلام، إنها مجرد فقط لعبة مصطلحات روجها أعداء الإسلام حتى يشوهوا صورته ويعرقل مسيرته، ويَعتبر غارودي أن الغرب هو العائق الأول أمام نهضة المسلمين والأصوليين الذين يقرؤون القرآن بعيون الموتى فيجعلوا منه حبيس القرن السابع الميلادي هم العائق الثاني له ولا سبيل لإنقاذ الإسلام إلا بالتخلي عن تدخل الغرب فيه أولا والتخلص من النزعة الأصولية ثانيا، ومسؤولية إنقاذه هي مسؤولية الجميع، لأن الإسلام هو الحل الوحيد لأزمتنا الحضارية.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، الإسلام، الغرب، الأصولية، السلام، روجيه غارودي، الإعلام والاتصال.

Abstract :

This article will be a message from Roger Garaudy to the whole world, explaining that the Islamic religion is not as it is said to be a religion of terrorism and bloodshed, but on the contrary is a religion of peace and good for humanity, as the religion of the future, and that today's bombings and assassinations have nothing to do Garaudy considers that the West is the first obstacle to the rise of Muslims and fundamentalists who read the Koran with the eyes of the dead and make it locked in the seventh century. They are the second obstacle to it, and there is no way to save Islam except by abandoning Islam. It is only a game of terms promoted by the enemies of Islam. From the intervention of the West Second, the elimination of fundamentalism II, and the responsibility to save him is the responsibility of all, because Islam is the only solution to our civilizational crisis.

Keywords : Terrorism , Islam, West, Fundamentalism, Peace, Roger Garaudy, Media and Communcation.

مقدمة:

يعتبر الدين الإسلامي هو آخر الديانات الإبراهيمية والسماوية وظهر في القرن السابع ميلادي في شبه الجزيرة العربية على يد سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد عرف الدين الإسلامي سرعة هائلة في الانتشار على أوسع نطاق، عبر طرق شتى من غزوات وسرايا وبعوث بالإضافة إلى الفتوحات، بغية تحقيق هدف واحد وهو توحيد العالم روحيا وإنسانيا، وبالرغم من الهدف السامي للإسلام إلا أنه لم يَسْلم من الاضطهادات والمكائد منذ ظهوره؛ وكان ذلك من طرف كفار قريش قديما وحاليا من طرف قريش المعاصرين، فقالوا عن الإسلام أنه أساطير الأولين وما صاحبه إلا شاعر ومجنون، يقول الله تعالى في سورة المطففين: {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13)} وفي قوله أيضا في سورة التكوير: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)}. وفي الوقت الراهن أطلق أعداء الدين الإسلامي عليه اسم الإرهاب؛ ويدل هذا المصطلح على كل أنواع الترويع والرهبة، وكأن الله في القرآن الكريم يحث الناس على مجاوزة الحدود والترويع والتخويف، فأصبحت كل حركة عدوانية تشير إلى

الإسلام وتوجه أصابع الاتهام إلى المسلمين هذا ما تتداوله الوسائط الإعلامية اليوم، فمنذ تفجيرات 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية والدين الإسلامي يتحمل مسؤولية كل فعل متهور لاديني ولاإنساني وينعت بدين الإرهاب، خصوصا بعد ما حصل كذلك في فرنسا عقب الاعتداء المسلح على موقع جريدة شارلي إبدو، وما حصل منذ شهور معدودة في بريطانيا عقب تفجير انتحاري ونحن هنا لسنا بصدد معرفة من هو المسؤول عن تلك الجرائم، بل بصدد توضيح مسألة ما موقع الدين الإسلامي في ذلك؟ أو بعبارة أدق: ما دخل الإسلام في تلك الحركات العدوانية اللاإنسانية؟ هل نستطيع أن نقول أن كل حركة إرهابية منبعها الإسلام؟ فالإسلام دين وليس حركة؛ إنه معتقد وليس حزب؛ فمن المجحف إذن أن ننسب الإرهابيين الذين لا دين لهم ولا ملة إلى الإسلام فالدين الإسلامي دين سلام وليس دين إرهاب.

ومن المفكرين والفلاسفة الذين حاولوا إنصاف الإسلام والمسلمين وتصفية صورته التي شوهها أعداءه واصفين إياه بدين الإرهاب، نذكر الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي[1]، الذي يرى في الإسلام دين الحق والعدل، دين الإنسانية والإنصاف، كما أنه دين المستقبل، وليس كما يصوره الإعلام اليوم على أنه حركة إرهابية فالإرهاب حسبه ظاهرة عالمية لا دين له ولا وطن، وسنحاول في هذا المقال عرض دفاع غارودي عن الإسلام وتحديه لزعماء الفتنة والتخريب، ونحن هنا نسائل أنفسنا: ما علاقة الإرهاب بالإسلام وما موقف روجيه غارودي من ذلك؟ وكيف سيستعيد روجيه غارودي صورة الإسلام الحقيقية؟

أولا: الإسلام في عيون أعداءه

يُعتبر الواقع نقطة انطلاق تحليلات روجيه غارودي، ومن بين تلك التحليلات التي تمس الواقع وقوفه عند المعتقدات الدينية؛ فالدين في منظور غارودي هو الباعث الروحي لحياتنا والمنظم الأساسي لها خاصة وأننا اليوم في أمس الحاجة إلى دين حقيقي يخرجنا من مأزقنا الحضاري اللاإنساني، فالعالم «بحاجة إلى أنبياء (لكي يذكرونا بالنهايات) أكثر مما هو في حاجة إلى رجال دين يعطوننا الوسائل الضخمة في خدمة أي نهايات كانت»[2]، ومن هنا جاء اهتمام غارودي بالدين، وقد دامت رحلة بحثه عن دين حقيقي نصف قرن اكتشف من خلالها أن المسيحية ليست هي مسيحية سيدنا عيسى عليه السلام، وقد مسها التحريف الذي شوه مضمونها الأصلي جاعلا منها ديانة عنصرية لا تعترف إلا بالمسيحيين، وهذا ما لا يقبله العقل البشري في أن يكون الإله منحازا إلى شعب معين «فالمسيح هو أولا التخلي عن الذات والتخلي عن انتماءاتنا الجزئية والقطيعة المطلقة: مع العهد القديم الذي نقض ناموسه كله»[3]، ولعل هذه الرؤية المقتضبة التي لا تأخذ في الحسبان إلا المسيحيين هي السبب في عدم «نجاح المسيحيون أتباع بولس والمؤمنون بالطريق الأولى إلى تحرير الإنسان من الهيمنات والعزل والحروب، عن طريق الموعظة»[4]. ونفس الشيء نلاحظه في الديانة اليهودية التي تنطلق من مسلمة الشعب المختار، هذه المسلمة التي يعتبرها غارودي أسطورة يستخدمها اليهود لتبرير احتلالهم لفلسطين بطريقة شرعية فحسبهم أن الإله ميزهم عن باقي الشعوب ومنحهم الحق في استرجاع أراضيهم المقدسة بشتى الطرق، وضمن هذا الطرح يبين غارودي أنه ليس «بمقدورنا أن نحدد على وجه الدقة في أي لحظة تاريخية ظهر الرب لشخصية إبراهيم التوراتية ولمنحه الحق الشرعي في الاستيلاء على بلاد كنعان، أما من وجهة النظر القانونية، فليس بين أيدينا صك لهذه الهبة يحمل توقيع الله، بل إن لدينا حججا قوية تدعونا للاعتقاد بأن المشهد الوارد في سفر التكوين[5](12: 1-8 – 13: 14-18 على سبيل المثال) لا يعكس حادثة تاريخية حقيقية، ومن ثم ليس لدولة إسرائيل الحالية أي حق في أنها تدعي لنفسها أنها تجسد لإرادة الله، فلا الأرض مقدسة ولا الشعب وكلاهما ليس جدير بأي ميزة روحانية في هذا العالم»[6]. يحيلنا هذا إلى القول أن السياسة الإسرائيلية ليست سوى ضرب من ضروب العنصرية المبررة شرعيا، وعلى إثر هذا الفشل اليهودي والمسيحي في علاج الواقع واسترجاع إنسانية

الإنسان، اهتدى غارودي إلى الدين الإسلامي الذي وجد فيه تسامحا مع الدين اليهودي والمسيحي، حيث «لم يزعم النبي محمد صلى الله عليه وسلم أبدا أنه إختلق ديانة جديدة، لكنه يدعونا إلى العقيدة الجوهرية لإبراهيم عليه السلام، وفي القرآن موسى والمسيح - عليهما السلام - نبيان للإسلام»(7). أي أن الإسلام ليس دينا قوميا ولا عنصريا بل يعترف بالآخر مهما كان موطنه وجنسه وعرقه، ولعل هذا التسامح الإسلامي هو ما دفع بروجيه غارودي إلى اعتناق الإسلام دينا في سنة 1982.

وبالرغم مما يتضمنه الدين الإسلامي من مفاهيم التسامح والاعتراف بالآخر وما يبشر به من ثقافة الاختلاف وفن الحوار الحضاري؛ لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)} الحجرات الآية 13، وهذا ما يجعل الدين الإسلامي يقبل التعددية والاختلاف الفكري أو الإيديولوجي إلا أنه لم يسلم –كما قلنا سابقا- من لسعات أعداءه اللدودين الذين يوجهون له في كل مرة إصبع الاتهام في كل فرصة أتيحت لهم، وقد ضربنا أمثلة على هذا العداء سالفا. حيث حاول خصوم الإسلام بشتى الأساليب أن يقدموه للبشرية في صورة قبيحة فقالوا عنه أنه «مجرد أداة نقل للثقافات أو الأديان الماضية، مترجما للفكر اليوناني ومعلقا عليه وأنه تاريخا سابقا على تاريخ ثقافتنا مما أدى إلى ترك دراسته لمختصين مكلفين بدراسة ما يرجع إلى الماضي، وعليه فالدين الإسلامي في نظرهم لا يأتي بشيء جديد ولا يشتمل اليوم على شيء فيه حياة، ولا يسكن إلا ماضينا، ولا يبشر بشيء ولا يعد بخير»(8). وكل هذه الإدعاءات تجعل من الإسلام دينا رجعيا، لا يصلح لكل مكان وزمان وبالتالي فهو دين المتعصبين الذين يعيشون الحاضر بأكسجين الماضي.

ويُعتبر الإعلام والاتصال الوسيلة الأولى والناجحة لتشويه صورة الإسلام بفضل نفوذ أعداء الدين الحنيف، فالإعلام اليوم «يملك قدرة على تقييد العقول البشرية وجذبهم إلى حياة كلها كذب وخيال لا يمكن حتى إسقاطه على أرض الواقع. حيث أصبح الإعلام، سوقا ضخمة، أكثر اتساعا أيضا من سوق الصناعة والمال وأصبحت الحقيقة سلعة تباع وتشترى، ويتم تكييفها طبقا للهدف المطلوب، يعتمد الإعلام من الآن فصاعدا على دعم الإعلان، الذي يتحكم في البرامج واختيار مقدميها»(9). ويعد قطاع الإعلام والاتصال أكثر مروج لمصطلح الإرهاب الإسلامي، «حيث أصبح هذا المصطلح أكثر المصطلحات انتشارا منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م وهو ما يفرض على الباحث إعادة النظر فيه والتساؤل حوله بعيدا عن الآلة الإعلامية الغربية التي تكرسه في كل سياق وتوظفه في كل مقام»(10). وضمن هذا الطرح أورد أحد محاوري غارودي حوار له في زيارة للتلفزيون الفرنسي يسوده العنصرية وتدني لغة الحوار؛ حيث تهجم عليه مسؤول القناة بألفاظ تكشف عن خلفية حقده للديانة الإسلامية، هذا ما صرح به لروجيه غارودي قائلا: «كنت في زيارة للتلفزيون الفرنسي، فكان لقاء مع مسؤول القناة الثانية التي تُعنى بالأحداث العالمية الساخنة، فابتدرني بهجوم حاد دون أن يمهد له أو يكون له مبرر. قال: أنتم العرب والمسلمون، تحترفون الإرهاب، وتمتهنون سفك الدماء، وتحترفون التخريب... واندفع هكذا في هجومه كسيل عرم قبل أن أشرع معه بأي حديث»(11). وكل هذا الهجوم من طرف مسؤول القناة على مواطن عربي مسلم يكشف ضغينة وحقد الغربيين للمسلمين والإسلام.

وفيما يخص مصطلح الإرهاب اللصيق فقط بالإسلام، يوضح روجيه غارودي أنه مصطلح –الإرهاب- ولد في بلاد الغرب، ليتحكم في الشعوب الشرقية بطريقة شرعية، حيث «جرى تحديد الهدف في مؤتمر شرم الشيخ عام 1996م وكانت الحكومة الإسرائيلية هي التي حددت الهدف: محاربة الإرهاب والتدخل الإنساني، هذان الادعاءان الجديدان المتكاملان للاستعمار الجديد وحدد شمعون بيريز ودون أن يمتلك أدنى دليل، إيران بأنها مركز الإرهاب الدولي، ومن المتفق عليه أن كلمة الإرهاب

شمل كل أشكال مقاومة الشعوب دفاعا عن استقلالها، مع استبعاد كل أشكال الإرهاب التي تمارسها الولايات المتحدة التي تهدد استقلال هذه الشعوب وعلى سبيل المثال يزعمون أن مقتل جندي إسرائيلي في الجزء المحتل من جنوب لبنان، بمعنى أن يقتل من محتل من قبل المقاوم ...عمل إرهابي، أما مذبحة المدنيين في قانا والقصف الإسرائيلي الذي وصل حدود بيروت فهو دفاع مشروع »[12]. وهنا تلعب لعبة المصطلحات لعبتها في ترويج الأكاذيب، خاصة حين تجعل من مصطلح المقاومة من أجل التحرر إرهاب، ومن مصطلح الاستعمار والاحتلال دفاعا وحماية أمنية.

وضمن نفس الطرح كذلك يضيف غارودي، أن المتأمل في التاريخ الغربي القديم، يرى أن أكثر الأعمال إرهابية تكمن في أسطورة الشعب المختار اليهودية؛ «التي تعتبر أكثر الأفكار دموية في تاريخ البشرية فالعبرانيون الأوائل اعتبروا يهوه في المفهوم الوثني والقبلي إلها غيورا بل أقوي الآلهة وسيمنح النصر للقبائل التي يحميها وهو الذي جعل منها الشعب المختار، وفرض عليها حق أو واجب إبادة الشعوب التي لا تشاركهم الإيمان، ومن هنا يتخذ العنف والإرهاب شرعية تلامس الحق المقدس لما اصطبغت به شحنة إيمانية، وفكرة إبادة الآخر أو حتى تطميعها بمعارك يشوع الأسطورية»[13]. هذا يعني أن أسطورة الشعب المختار تعكس ظاهرة الإرهاب المقدس، الذي يستغل الدين من أجل تبرير الجرائم السياسية والاجتياح الاستعماري، وهذا ما نجده واضحا في الكتاب المقدس: «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عنه: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيه شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِي هذا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ . وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَاب الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَ هذا وَعَرْضَ هذا لأَنِّي لَكَ أُعْطِي هذا، فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامه وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ[14]».

وفي حلقة أخرى من حلقات الإرهاب المقدس أيضا، يذكرنا غارودي بالحروب الصليبية وما اقترفته الكنيسة متحالفة مع ملوك أوروبا لملاحقة المسلمين وإبادتهم والاعتداء على مقدساتهم، وهذا ما سمح للغرب فرصة التوغل في بلاد الشرق الإسلامي من أجل تصفية حساب حضاري أو ربما بتحقيق مطامع سياسية واقتصادية، وقد أدى هذا التحالف الديني والسياسي إلى ترصد المسلمين في أي مكان كانوا وقتلهم عشوائيا دون أي مبرر لذلك وأصبحت هذه التصفيات الدامية في حق المسلمين تعرف بالحرب الصليبية أو الحرب المقدسة، خاصة بعد صدور قرار رسمي عن المجمع الديني المنعقد في روما سنة 1099م والذي يعتبر أن التكفير عن الخطايا يمكن أن يتم عبر الانخراط في جيش الله من أجل مقاتلة المسلمين سواء كانوا في الشرق أو الأندلس، وكل هذه الاضطهادات والاعتداءات على المسلمين دفعت غارودي إلى وصم التاريخ الأوروبي بأنه تاريخ دموي حافل بالجرائم والهرطقات المبررة دينيا[15].

وسياقا لما تم عرضه للجرائم البشعة التي ارتكبها الغرب والسياسة الصهيونية في حق المسلمين، يلخص غارودي أن الإرهاب عرف دلالته الأولى في بلاد الغرب ولو بطريقة جعلت منه إرهابا مقدسا باسم الحروب المقدسة كما بشرت به الحروب الصليبية أو تماشيا مع أوامر الله وذلك انطلاقا من فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد، أو تحت شعار تحقيق الأمن العالمي والتدخل الإنساني «بدءا بإبادة الهنود الحمر في أمريكا منذ القرن السادس عشر، إضافة إلى تجارة العبيد التي كانت ضرورية لاستغلال المناجم وأراضي أمريكا البكر أو الخالية من سكانها بعد إبادتهم وصولا إلى ظاهرة الاستعمار بما تحمله اللفظة من دلالة، أي السيطرة السياسية والعسكرية على إفريقيا وعلى أكبر جزء من أسيا وأمريكا اللاتينية، بضمان الاستثمارات المربحة للغاية سواء في الصناعة أو في التجارة عن فرض الاستعمار لأسعار بخسة على الأيدي العاملة، وعلى عكس ذلك الأسعار المرتفعة للمنتجات المستوردة»[16] وعليه فإن كل هذه المبررات الشرعية تصب في مفهوم واحد وهو الإرهاب المنتهك

للأعراض والحقوق الإنسانية. ومن مظاهر الإرهاب الغربي يذكر أنه «رغم الوجه الايجابي لما ينتجه البحث في العلوم فإن مجال الأسلحة يتنزل في المجال الإرهابي، فهذه القنبلة الذرية التي أصابت هيروشيما وناقازاكي أبادت في لحظة واحدة 80000 نسمة وهو تقدم تقني لا يجادل إذ يفوق ما حققه جنكيز خان الذي شيد هرما يبلغ ارتفاعه ألف جمجمة في أسبوع عندما استولى على أصفهان، وتمتلك القوى النووية في العصر الحالي مخزونا يوازي أكثر مليون قنبلة مماثلة لقنبلة هيروشيما، أي تقنية تكفي لتدمير 70 مليار نسمة أي ما يوازي خمسة عشرة تعداد سكان الأرض أو محو الحياة على وجه الأرض»[17].

وبالرغم من التاريخ الغربي الدموي والحافل بالجرائم في حق الإنسانية إلا أنه لم يصور على أنه تاريخ الإرهاب، فالإرهاب ظل ملتصقا فقط بالإسلام، وكأن الإسلام رسالة للإرهاب لا للإيمان، «وهذا ما يزيد الأمر غموضا وإجحافا عند قرن الإرهاب بصفة الإسلامي، فمنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تواضعت الأوساط السياسية الغربية وعاضدها الإعلام على تصنيف الإرهاب وحصره في طائفة من المسلمين دون الالتفات إلى أي إرهاب آخر مهما يكن جنس أصحابه أو معتقدهم... حتى أصبح مصطلح الإرهاب الإسلامي مصطلحا عالميا ...وأضحى عنوانا لموقف عدواني من الإسلام والمسلمين، وتعدى ذلك إلى الجنس العربي مطلقا مما أنتج رهابا وخوفا من كل علاقة بالشرق جغرافيا وبالإسلام دينيا وبالعرب جنسا وأمة»[18].

وفيما يخص تلك الفئة التي تتهم الإسلام بالإرهاب وتستدل على ذلك من القرآن الكريم، حيث ورد في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)} [19]، «ولا يجوز هنا لأي كان أن يتأول فهمها وأحكامها على نحو ما يريد، فالدعوة صريحة للمسلمين كي يتسلحوا ويعدوا القوة والتدريب حتى لا يطمع فيهم عدوهم وعدو الله...وشتان بين الترهيب والإرهاب»[20]. وقد فسر ابن كثير فعل ترهبون الوارد في الآية على أنه بمعنى تخوفون عدوكم وعدو الله[21]. وكذلك بالنسبة لمصطلح الجهاد الذي تم تأويله تأويلا منحرفا، بمعنى أنه إثارة الحروب «والحال أن كلمة جهاد لا تعني حربا إنما تعني جهدا على طريق الله... فليس ثمة ما يبرر الحرب، في رأي القرآن إلا لرد عدوان أو انتهاك حرمة»[22]. أي أن الجهاد في القرآن الكريم حتى ولو كان على شكل حرب إلا أنه حرب حق وليس ظلم، من أجل الدفاع عن النفس من بطش العدو ومن أجل نصرة الله والمسلمين. وكل هذه الإشاعات التي تحاكى حول الدين الإسلامي تكشف عن تحالف خصومه ضده بغية تشويه صورته الحقيقية.

وضمن هذا الإطار، يرى غارودي أن أعداء الإسلام خارجيين وداخليين، ويعد الغرب هو ألد أعداء الدين الإسلامي ويحول دون تطور المسلمين؛ لأن «الغرب يقف صفا واحدا تجاه أي قطر عربي أو إسلامي يعزم على النهوض ليعرقل مسيرته أو يحتل أرضه أو يسلط عليه عدوا من حلفائه أو يشتعل نار حرب داخلية بين طوائفه وأحزابه وأقاليمه، فالعراق وباكستان صمما على استخدام الطاقة النووية فشغلوا الأولى مع إيران لتحطيم الدولتين وشغلوا الثانية مع حكومة أفغانستان الموالية لموسكو من ناحية، وفي نزاعات إقليمية داخلية بين السند والبنجاب وغيرهما من النواحي»[23]. ولم تكتف هذه القوى الغربية بافتعال الحروب بين المسلمين داخل البلاد وخارجها؛ بل تعدى عدوانها وتسلطها إلى إراقة وسفك دماء المبشرين ودعاة التغيير الإسلامي الذين يهمهم النهوض بالأمة الإسلامية، وضمن هذا السياق نجد غارودي يتهم الغرب بجريمة اغتيال الإمام حسن البنا رحمه الله لأنه «عزم على أن يجدد لأمته شبابها ونفخ في الشعب روح التمرد على الاستعمار والتخلف والفرقة وربى الشباب على الطهر والجندية وروح الفداء، فقتلوه في أوج شبابه وعطائه ولم يتجاوز الثانية والأربعين، ولو قدر لهذا المصلح

الكبير أن تمتد به الأيام لأحدث بإذن الله تغييرا جوهريا في المنطقة كلها»[24]. وعليه فالغرب سعى ومزال يسعى إلى تشتيت وحدة المسلمين ويعمل على إذلالهم كما سهر على انحطاطهم مهما كلفه ذلك من جهد وثمن.

أما العدو الداخلي للإسلام فيتمثل في هؤلاء الأصوليين الذين: «يقدمون عن الإسلام الصورة التي يريد ألد أعدائه أن يعطوه إياها»[25]. في أن يجعلوه حبيس القرن السابع الميلادي، وكأن الإسلام جاء ليحل مشاكل ذلك العصر فقط، والأسوأ في ذلك كله أن الأصوليين يحاولون معالجة المشاكل الراهنة بحلول الماضي، وهذا ما يجعل من الإسلام دينا رجعيا يسكن الماضي فقط، وبالتالي تنتفي صلاحيته التاريخية، وعليه فغارودي «يعلن الحرب على الأصوليات الدينية، باسم الوفاء للشرائع الحقّة والبدايات العظيمة المنتهكة فكرا أو ممارسة لدى الأتباع، سواء من قبل الحركات والأحزاب الدينية الإيديولوجية والسياسية، أو من قبل القيّمين على المؤسسات الدينية الرسمية من فقهاء وباباوات»[26]. وكأن غارودي هنا يريد أن يوضح للعيان أن الأصولية التي مرض كل الأديان ما هي إلا قوانين من صنع البشر، وضعت لتقنع الإنسان أنها من لدن الواحد الجبار، وهذا ما يشوه الإسلام ويدخله في دائرة المطلقية، حيث لا تدبير فيه ولا تغيير، وهذا ما يريد أعداء الإسلام في أن يروه جامدا بلا فائدة.

وانطلاقا من هذا المفهوم المشوه للإسلام الذي جعل منه أعداؤه مجرد حبر على ورق، صالح فقط للقرن السابع الميلادي، وفي أن جعلوا منه دين المتعصبين الرجعيين، دين الإرهاب والقتلة، عمل غارودي على تبديد تلك المزاعم الباطلة التي جعلت الإسلام مجرد صورة تعكس حياة الإنسان البدائي المنحرف، والسؤال المطروح هنا: كيف حاول روجيه غارودي منح الإسلام معناه الحقيقي؟ أو بعبارة أخرى: كيف تصدى غارودي لأعداء الإسلام وما هو سلاحه في ذلك؟

ثانيا: الإسلام ليس كما يعتقدون

عرفنا فيما سبق كيف كشف روجيه غارودي النية الحقيقية لخصوم الإسلام، الذين جعلوا منه دين رجعي وقبلي، دين الأسلاف وبتالي فهو يضر ولا ينفع؛ بمعنى لم يقدم للعالم سوى مجموعة من الإرهاب تشيع فيه الفساد والفوضى، وهذا ما رفضه غارودي في أن يكون الإسلام دين القبليين فقط؛ فحسبه أن «الله في القرآن كما في التوراة والأناجيل، يكلم الإنسان في التاريخ»[27]. أي أن كل الديانات السماوية صالحة لكل زمان ومكان، كما أن الإسلام في نظر غارودي يحتوي على مضامين بالغة الأهمية؛ لأنها تقضي نهائيا على كل ألوان العنصرية والغطرسة والتخلف، وتدعو في نفس الوقت إلى الوحدة العالمية والحوار الحضاري وتتمثل هذه المضامين في: أولا التعالي الإلهي ووحدانيته: ومعنى هذا أن «القول بالتعالي الإلهي يعني التوحيد والتنزيه فالله واحد لا شريك له. والإسلام يقوم منذ البداية على نفي كل الآلهة، أي الإلحاد والكفر بكل الآلهة التي تزعم أن لها سلطة مقدسة متعالية. وعلى مبدأ التوحيد يقوم الكون والوجود»[28]. وبمجرد التسليم بهذا المضمون والأخذ به تتحقق الوحدة العالمية تحت سلطة إله واحد لا شريك له، إله كل البشرية وليس إله شعب معين كما توضحه ذلك الديانات اليهودية والمسيحية المحرفتين باعتمادهما على فكرة الشعب المختار وفكرة الخلاص المسيحي، أما عن المضمون الثاني فيتمثل في: الجماعة أو الأمة: والمقصود هنا «أن المجتمع الإسلامي كائن واحد، بحيث لا يوجد شيء يفصل بين العقيدة والنظم الأخرى. فالمجتمع الإسلامي لا ينفصل فيه الإيمان عن العمل والعقيدة عن السياسة والغايات والقيم الأخلاقية عن العلم والاقتصاد، فلا يمكن للمسلم أن يعيش منشطرا بين عقيدته وضميره وإيمانه من جهة وحياته العملية الاجتماعية من جهة أخرى، وبالتالي فلا مجال للفصل والقطيعة بين العقيدة والسياسة ولا بين الأخلاق والاقتصاد ولا بين العلوم والحكمة»[29]. إن المتمعن في هذا المضمون يرى أن غارودي يريد أن يوصل رسالة لخصوم الدين الإسلامي أنه دين أخلاقي ومتناسق لدرجة أنه

لا يمكن تصور مجال من مجالات الحياة في غنى عن الناحية الدينية وهو ليس كما يعتقدونه دين الشتات والإرهاب، ففي داخل المجتمع الإسلامي يتلازم الروحي مع المادي، أي أن «البعد الاجتماعي للإيمان يمنع الإنسان من الانشطار والازدواجية والتمزق بين بعده النفسي الروحي وبعده الاجتماعي السياسي العملي. فالرابطة الجماعية التي توحد أفراد هذا المجتمع روحية إيمانية قبل كل شيء فالذي يجمع المسلمين هو الإيمان الذي هو اختيار إرادي»[30]. أي أن الدين الإسلامي ليس كما أدعوا أنه دين الحرب والسيف، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فالانتماء للجماعة أو الأمة الإسلامية «قائما على الاختيار والحرية والإرادة ذلك أن الإنسان لا يستطيع اختيار الأرض التي ولد فيها والعرق الذي انحدر منه والتاريخ الذي كونه الأجداد فكل ذلك مفروض عليه من خارج ومن الماضي ولكنه يختار إيمانه بإرادته الواعية والحرة. فالأمة الإسلامية تعني إذن الجماعة ذات الدين الواحد»[31]. وعليه فالإسلام دين البشرية جمعاء كونه لا يفرق بين الناس فلا يوجد شعب مختار وآخر منهار ولا يوجد شعب متقدم والآخر متخلف...أما فيما يخص المضمون الثالث فيتمثل في المسؤولية: ولا نقصد هنا المسؤولية الذاتية، أي أن يكون الفرد مسؤول عن ذاته فقط بل نقصد المسؤولية ببعدها الجماعي، أي نكون مسؤولين عن بعضنا البعض؛ هذا يعني إذن أن «المسئولية الإسلامية، تحمل بعدا جماعيا فكل فرد في الأمة الإسلامية يشعر بأنه مسؤول لا عن ذاته الفردية فحسب وإنما عن كل الآخرين، فجميع الأفراد متضامنون ولذلك فإنه حتى في فترات التجزئة وتشتت البلاد الإسلامية يبقى الشعور التضامني قائما وهذا يدل على أن أفراد الأمة لا يتعاقدون فيما بينهم نتيجة افتراض نظري مجرد، كما هو الحال عند روسو، وإنما نتيجة اختيار مشترك للأهداف والقيم»[32].

يتضح من خلال المضامين السالف ذكرها أن الدين الإسلامي هو الدين العالمي الذي يجمع الكل تحت سلطة إلهية حتى تنتفي باقي السلطات المتعسفة وتصبح السيادة لله عز وجلّ، كما أنه يقوم على مفهوم الشمولية الذي يعترف بالآخر وعلى مفهوم الحب القائم على المسؤولية، أي أن يكون الفرد مسؤولا عن غيره يخاف عليه ويخاف هو عليه بدوره وبالتالي فالإسلام ليس دين الترهيب كما يزعمون وليس دين الإرهاب كذلك، ولكن الذي ينقص الدين الإسلامي اليوم هو قراءة جديدة للنصوص القرآنية «متحررة من تفسيرات العلماء الرسميين الجافة والمجففة»[33]. وبهذا نقوم بإحياء المعنى الحقيقي للدين الإسلامي. ولكي ننجح في إحياء المدلول الحقيقي للإسلام، ينصحنا غارودي بضرورة تخليصه من مرض الأسلمة، التي «انطلاقا منها يثرثرون حول الماضي كأن كل المشكلات تم حلها نهائيا في الماضي، كأنها قراءة القرآن بعيون الموتى مثل الآخرين أيضا، من المسيحية إلى اليهودية... الذين يقرءون نصوصهم بعيون الموتى»[34]. وفي هذا دعوة صريحة من قبل غارودي في أن نعيد قراءة القرآن الكريم بعيون متيقظة تواكب العصر ومستجداته تستقصي مشاكله وتحاول حلها بطريقة عصرية لا أن نسقط أحكام وحلول القرن السابع ميلادي على مشاكل القرن الحادي والعشرين. كما أن المتمعن هنا يرى أن غارودي يوجه ضربة قاضية إلى دعاة البلبلة الفارغة التي أفرغت القرآن من معناه الأصلي. وبعد معالجة الإسلام من مرض الأسلمة والأصولية، يوجهنا غارودي إلى «ضرورة توجيه كامل الأنظار إلى الإسلام بصفته الحل الوحيد الذي يخرجنا من مآزقنا المعاصرة. فالبعض نجده يبحث عن الديانة بين طيات الماضي كما لو كان الإسلام عصيّا على الفهم بعقول الحاضر والمستقبل، لم يتوقف الإسلام عن المناداة بالتأمل الشخصي، وبإعمال الفكر والعقل والحواس من أجل المشاركة في الخلق الإلهي المتجدد دائما أبدا»[35]. وكأن غارودي هنا يحاول الرد على خصوم الإسلام الذين لم يروا فيه سوى دين الكفار والإرهاب، ليبلغهم أن الدين الذي نعتموه بأقذر المصطلحات هو نفسه الحل الوحيد والأنسب لمأزقكم الحضاري؛ فالإسلام رؤية للمستقبل انطلاقا من الحاضر. وأخيرا وبعد أن عرفنا أن الإسلام هو السبيل الأوحد لمأساتنا الحضارية، توجب علينا إذن

أن نتخلى عن معالجة مشاكلنا الدينية بأساليب غربية، «أي انطلاقا من إيديولوجية غربية يُزعم أنها حديثة، إيديولوجية تنفي مشكلة الغايات الأخيرة للإنسان»(36). أي أنه لاستعادة فعالية ونشاط الدين الإسلامي، يجب علينا أن نتخلى عن تدخل الغرب في مشاكلنا، فلطالما شكل الغرب حاجزا أمام تطور المسلمين، ولطالما صوّر الإسلام على أنه حركة إرهابية، هدفها بث الرعب وزيادة الفوضى، والحقيقة من منظور غارودي، أن الغرب هو الذي يمارس إرهابه الخفي على الدول الإسلامية؛ والأمثلة على ذلك كثيرة حيث «إتخذ الإرهاب حضورا خفيا في المستوى الثقافي فإذا لغات الغرب تنازع اللغة العربية وسائر اللهجات المحلية، وتهدد كل شعب وتصور أن التقدم والنجاة من التخلف لا يكون إلا بواسطة لغة الغرب...وفي المستوى الاقتصادي كشف الغرب عن وجهه الإرهابي وهيمنته بفرض نسق من التعامل يجعل الدول الإسلامية تابعة له وتحت رحمته تستهلك ما يبيعه إليها، ويستغل الغرب ثرواتها الطبيعية بأبخس الأثمان ... ومن أبرز مظاهر الإرهاب الغربي المسلطة على الدول الإسلامية مسألة السلاح والتسليح وافتعال الأزمات والحروب بين هذه الدول لتنشيط سوق بيع الأسلحة...»(37). بعد معرفة حقيقة الغرب وجرائمه حان الوقت لنسائل أنفسنا: كيف سيفيدنا الغرب في حل مشاكلنا بعد أن علمنا أنه هو من يسبب لنا المشاكل؟

خاتمة

يتضح من العرض المسبق، أن الإسلام دين سلام وليس دين إرهاب وما يحدث اليوم من تفجيرات واغتيالات لا علاقة له بالإسلام لأن الإرهاب لا دين له ولا وطن، فالإرهابي يمثل ذاته المنحرفة ولا يمثل دينه ولا مجتمعه، ولو إفترضنا أن للإرهاب دينا فلماذا لم نصطدم حتى الآن بمصطلح الإرهاب اليهودي خاصة بعدما رأينا الجرائم التي يرتكبها اليهود اليوم في فلسطين من قتل واغتصاب واعتقال...؟ ولماذا أيضا لم نصادف مصطلح الإرهاب المسيحي خصوصا بعد الحروب الصليبية وما ترتب عنها من قتل وإبادة المسلمين؟ ولو أخذنا بعين الافتراض كذلك أن للإرهاب وطن فلماذا لا يقال الإرهاب الشرقي في مقابل الإرهاب الغربي؟ والأمثلة على ذلك متعددة، وعليه ينصح روجيه غارودي الإعلام اليوم بأن يتخلى عن لعبة المصطلحات، تلك اللعبة الخفية التي يروجها الغرب من أجل تشويه صورة المسلمين والإسلام والحقيقة أن الدين الإسلامي –كما أظهرنا سالفا- دين البشرية جمعاء دون انحياز لا لشعب مختار ولا لخلاص رباني، إنه دين التعدد والاختلاف والترحيب بكل الثقافات، دين الحوار الحضاري من أجل السلام العالمي ولكن الذي يعرقله اليوم هو الغرب أولا والقراءة الجافة للقرآن ثانيا وبعد أن عرفنا السبب الرئيسي لتراجع وتضاءل النشاط الإسلامي وجب علينا أن نعمل جاهدين لإحيائه وبعثه من جديد، بغية تحقيق الوحدة العالمية خاصة وأن السيل قد بلغ الزبى وأصبحنا نعيش حياة الأموات، وعليه فالقضية اليوم تخصنا جميعا، لأن الإسلام دين الجميع وليس فقط دين العرب، «فإما أن نضيع كلنا معا وإما أن ننقذ أنفسنا كلنا معا»(38). ولا سبيل للنجاة إلا بالأخذ بالإسلام فكرا وفعلا فالفكر وحده لا يصنع واقعا ولن يخلق مستقبلا زاهرا.

الهوامش:

[1] روجيه غارودي مناضل سياسي وفيلسوف فرنسي، بدأ حياته ماركسيا وانتهى باعتناق الإسلام تحت اسم رجاء غارودي، ولد بمرسيليا عام 1913 وتوفي عام 2012، من مؤلفاته الإسلام دين المستقبل، مشروع الأمل فلسطين أرض الرسالات السماوية، انظر: عبد الوهاب الكيالي موسوعة السياسة ج4، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، دط ، دس ص 280.

[2] روجيه غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين، ترجمة ليلى حافظ، دار الشروق،القاهرة، ط2، 2001، ص 12.

[3] روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، ترجمة مروان الحموي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص 84.

[4] روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، ترجمة مروان الحموي، ص 97.

[5] «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ».«وَظَهَرَ لِأَبْرَامَ الرّبُ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ». الكتاب المقدس سفر التكوين، [12: 1-8] «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عنه: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيه شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِي هذا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ . وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَاب الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَ هذا وَعَرْضَ هذا لأَنِّي لَكَ أُعْطِي هذا، فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامه وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هناكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ». الكتاب المقدس، سفر التكوين[13: 14-18].

[6] روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هاشم تقديم محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة، ط4 2002، ص 50 .

[7] روجيه غارودي، لماذا أسلمت، نصف قرن من البحث عن الحقيقة دراسة أعدها محمد عثمان الخشت دار مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة دط، دس، ص 70 .

[8] روجيه غارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة دراسة أعدها محمد عثمان الخشت، ص 89.

[9] روجيه غارودي، حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها ترجمة عزة صبحي، دار الشروق ، القاهرة،ط3 ، 2002،ص 78.

[10] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التاريخ، د.م.ن، دط، ص 320.

[11] عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ روجيه غارودي، مكتبة وهبة، ط1 1984، ص 61.

[12] روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، ترجمة مروان الحموي، ص 3- 4.

[13] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي ، ص 334- 335.

[14] الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح 13 [14-18].

[15] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي، ص 340، 342، 344، (بتصرف).

[16] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي ص 345.

[17] المرجع نفسه، ص 348.

[18] المرجع نفسه، ص 330- 331.

[19] القرآن الكريم، سورة الأنفال الآية 60.

[20] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي، ص 329.

[21] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 من سورة طه إلى سورة ص، ملتقى أهل الكتاب، دط، دس، ص 725.

[22] روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الشرقي بيروت مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1980، ص 44.

[23] عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ روجيه غارودي، ص 65- 66.

[24] عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ روجيه غارودي، ص 66.

[25] روجيه غارودي، أصول الأصوليات، ترجمة خليل أحمد خليل، دار ألفين، باريس،دط ، 2000، ص 79.

[26] علي حرب، الاستلاب والارتداد، الإسلام بين روجيه غارودي وحامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي بيروت ،ط1 ، 1997، ص 29.

[27] روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، ترجمة خليل أحمد خليل، ص 88 .

[28] محسن الميلي، روجيه غارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1993، ص 208 .

[29] المرجع نفسه، ص 216 .

[30] المرجع نفسه، ص 217.

[31] محسن الميلي، روجيه غارودي والمشكلة الدينية، ص 217 -218 .

[32] المرجع نفسه، ص225 .

[33] روجيه غارودي، نحو حرب دينية جدل العصر، ترجمة صياح الجهيم تقديم ليوناو دويوف، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2 1997، ص 39 .

[34] روجيه غارودي، حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها ترجمة عزة صبحي، ص 28.

[35] روجيه غارودي، حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة عزة صبحي، ص 27 -28 .

[36] روجيه غارودي، نحو حرب دينية، ترجمة صياح الجهيم، ص 39 .

[37] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي، ص 363.

[38] روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، ص 55.